«المصالح الحيوية»، وهو من أكثر المصطلحات غموضاً في شبكة العلاقات الدولية والخطاب الدبلوماسي. فهو مفهوم مطاطي وغير محدد، ويخضع لتغيرات كثيرة، قد تكون متباينة. وهذه الصفات رشّحت المصطلح ليكون عاملاً يزيد في احتمالات المواجهة العسكرية بين الدول.

وحينما نستذكر مبادىء الرؤساء الاميركيين، وبخاصة تلك المتعلقة بالاستراتيجية الجزيرية الاميركية، وبالمدخل الذرائعي الذي تلج منه الولايات المتحدة الى الجزيرة، فان مبدأ الرئيس ترومان هو الاول الذي أطل علينا في آذار (مارس) ١٩٤٧، وجوهره اضطلاع الولايات المتحدة بالتدخل المباشر في اوروبا الغربية وشرق البحر المتوسط والشرق الادنى، بهدف تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الى الدول المعارضة للايديولوجيا والسياسات السوفياتية[١٩].

وكان هذا المبدأ مفتاحاً لجهود اميركية مستمرة من أجل ادماج المشرق العربي، وبخاصة الجزيرة، في احلاف هدفها مواجهة الاتحاد السوفياتي وضمان أمن اسرائيل وحماية مكتسباتها.

واذ فشل مبدأ ترومان، تلاه مبدأ ايزنهاور لملء الفراغ في الشرق الاوسط. وفي ذلك المبدأ، الذي أعلن في شباط (فبراير) ١٩٥٧: «ان الولايات المتحدة تحذر من ان العدوان الشيوعي في الشرق الاوسط يشكل تهديداً خطيراً لمصالحها الحيوية. وتعلن عن استعدادها لاستعمال قواتها المسلحة في رد العدوان المباشر عن هذه المنطقة». وفي عهد صاحب هذا المبدأ، شهد المشرق العربي ولادة قيصرية، وطفولة مشوهة، وموتاً مبكراً، لما سمّي حلف بغداد (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨).

ومن بين المبادىء ذات الصلة بموضوعنا، مبدأ الرئيس نيكسون، الذي ولد وتطور في حقبة حرب فيتنام، وحرب تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٣، واستخدم النفط سلاحاً.

وكان الرئيس نيكسون اعلن، في بداية العام ١٩٧١، مبدأه[٢٠] المتأثر بعقدة الحرب في فيتنام، ومغزاه ان الولايات المتحدة لم تعد راغبة في تقديم قواتها للحفاظ على الوضع القائم في العالم، والقيام بدور «شرطي العالم»، وانها ستكتفي بالدعم العسكري والاقتصادي للدول الحليفة، لكي تتولى هي حماية المصالح الاميركية.

وفي اثر الحظر النفطي العربي، خريف العام ١٩٧٣ واوئل العام ١٩٧٤، وتحت تأثير الازمة الطاقية والصناعية والاقتصادية التي عانت منها أوروبا الغربية والولايات المتحدة، تراجع الرئيس نيكسون عن بعض معاني مبدئه، وطوره في منحى آخر، مستنداً الى الاعتبارات التالية: ١ ـ لا عودة الى حظر نفطي عربي آخر؛ ٢ ـ الجزيرة مصدر رئيس للنفط، لا بد من استمرار تدفقه بكميات واسعار مناسبة الى الغرب؛ ٣ ـ الخليج امتداد جيو ـ بوليتيكي للمحيط الهندي؛ ٤ ـ الجزيرة مركز ينعكس عليه الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ ٥ ـ الجزيرة منطقة لاحتواء التوسع أو النفوذ السوفياتي؛ ٦ ـ الحفاظ على ميزان قوى اقليمي في الجزيرة لمصلحة الولايات المتحدة واسرائيل.

لقد طبقت الولايات المتحدة مبدأ نيكسون الاصلي في الجزيرة، أو استراتيجية عدم التدخل المباشر، حتى أواخر ١٩٧٣، حين بدأ تراجع جزئي ومحدود في التطبيق، لأسباب كثيرة، منها ما يتعلق بالتنافس الدولي مع الاتحاد السوفياتي، ومنها ما يخص موقف القوى الحاكمة الاميركية من الوفاق بين القوتين العظميين[٢١]. لكن السبب المباشر، والضاغط، لبدء التراجع والتطوير كان وليد الحظر النفطي العربي في اثناء حرب ١٩٧٣، اذ انتقلت الولايات المتحدة من استراتيجية عدم التدخل الى استراتيجية الردع والتطويق والتدخل العسكري حين الضرورة. وقد عبّر المسؤولون